

الأزمة وتجلياتها في زمن جائحة كوفيد- 19

The crisis and its manifestations in the time of the Covid-19 pandemic

آمال علاوشيش

جامعة الجزائر2- أبو القاسم سعد الله angelguard1972@gmail.com

تاريخ الاستلام: 14 / ماي/ 2022 تاريخ القبول: 05 / جوان/ 2022 تاريخ النشر: 22 جوان 2022

الملخص:

ونحن نتناول موضوع الأزمة في هذه الفترة من تاريخ البشرية لا مفر من أن نقف على جائحة القرن وفيروس كورونا الذي حصد أرواح الملايين من الناس، لتتحقق العدالة في الإصابة بالعدوى وقد انعدمت اجتماعياً واقتصادياً، ولتتخذ هذه المحنة العالمية مظاهر شتى سياسية واجتماعية واقتصادية ونفسية، ولنتترك في الوقت ذاته آثاراً شديدة تحتاج البشرية إلى أن تتعافى منها وتتأهب لمجابهة غيرها مستقبلاً، أي أن أسطورة سيطرة الإنسان على الطبيعة قد تلاشت بل وأصبح الإنسان نفسه أسيراً لدى كائن من كائناتها يعجز أن يراه أو يمسك به.

الكلمات المفتاحية :

الأزمة، الجائحة، الفيروس، الصحة، الحرب

Abstract:

As we address the issue of the crisis in this period of human history, it is inevitable that we stand on the pandemic of the century and the Corona virus, which claimed the lives of millions of people, in order to achieve justice in the infection when it was socially and economically non-existent, and for this global ordeal to take various political, social, economic and psychological manifestations, and turned. At the same time, there are severe effects that humanity needs to recover from and prepare to confront others in the future, meaning that the myth of man's control over nature has vanished, and even man himself has become a prisoner of one of its creatures that he cannot see or hold.

Keywords: Crisis, pandemic, virus, health, war.

المقدمة

ربّما قد لا نختلف إذا قلنا بأننا لم نعد نتوقع الكثير من هذه الحياة في أيامنا هذه بخاصّة منذ بروز شبح جائحة كورونا أو كوفيد-19 للوجود منذ نهاية 2019، وهذا بسبب ما أفرزته تداعيات هذا الفيروس في نفوسنا من شعورٍ بالرّيبة والشك وتزعزع اليقين بالمستقبل، الأمر الذي جعل مشاعرنا تختصر في الحنين والرّغبة في أن نعود إلى ما كنّا عليه فحسب أيّ إلى حياتنا العادية السّابقة، ومنه فقد كان لتأزم الوضع الصّحي العالمي تداعياتٍ جمّة على حياة الأفراد في كافة بقاع المعمورة، اقتصادية واجتماعية وسياسية وقيمية وصحية وأنطولوجية. هذا الوضع فرض الحاجة إلى إعادة صياغة السّؤال الفلسفي ليصبح سؤالاً إنسانياً وقيماً بامتياز يتم تحيينه حتى يتماشى ومستجدات العصر الإشكالية والمستعصية، إلى درجة أنّنا يمكننا أن ندّعي بأنّ كلّ البشر أضحوا فلاسفة بمعنى ما بسبب ما أنتجه الوضع الصّحي الحالي من عزلةٍ وفراغٍ نفسي وتعليقٍ للحياة البشرية، وخوفٍ من المستقبل البشري الذي بات مظلماً بشكلٍ غير مسبوق، وكذلك طرح استفساراتٍ محيرةٍ تنبئ بعمق المعاناة واستفحالها وتعيد السّؤال عن معنى الوجود والحياة إلى الواجهة.

وعليه فإنّ موضوع هذه الورقة سيصبّ ضمن سياق الأزمة التي أفرزها فيروس كوفيد-19 والتي شملت نطاق المعمورة بأسرها فلم يستثنى منها بلدٌ أو شعبٌ، فقيرٌ أو غنيٌ، مؤمنٌ أو ملحد، ومنه نتساءل: ما هو مفهوم الأزمة؟ ما هي تجلياتها ومظاهرها أو تداعياتها في زمن الجائحة؟ ما هي رهاناتها وكيف السبيل إلى مواجهتها؟

لنتناول هذه المسألة سنقف على ضبط مفاهيمي أولاً لمفهوم الأزمة من الناحية اللغوية والاصطلاحية وكيف شكّل فيروسٌ ضئيلاً مصدراً لها، لنعرج إلى تحليل أهم تداعياتها ومظاهرها التي تمتاز بالتعدد، ثم ننتهي إلى رهاناتها وسبل مواجهتها والدروس المستفادة منها، وذلك في ظلّ واقع أقلّ ما يقال عنه أنّه يمتاز بالتركيب وبالتعقيد والتوحش، وتحقيقاً لهذا الغرض اتبعنا منهجاً تاريخياً وتحليلياً اقتضته الضرورة المنهجية في تناول الموضوع.

2- مفهوم الأزمة لغة واصطلاحاً

1.2- المفهوم اللغوي:

يقول أبو بكر الرازي أزم (الأزمة) بأنّها الشدّة والقحط والمأزم، والمضيق وكلّ طريق ضيق بين جبلين يسمى مأزم، وموضع الحرب مأزم¹.

وذكر Steven R. VanHook أنّ كلمة الأزمة جاءت من الكلمة اليونانية krisis التي تعني قرار وهي اللّحظة التي مررنا بها جميعاً حيث كان من المفروض علينا ونحن واقعين تحت

¹محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ص6، (مكتبة لبنان: صيغة pdf متاح على:

الضغط أن نقرر مجموعة من الإجراءات، أن نسير باتجاه اليمين أو باتجاه اليسار، الفرار أو القتال،

أما في اللغة الصينية فتستخدم في كلمتين هما (Wet _ Ji) تعبر الأولى (Wet) عن الخطر والثانية (Ji) عن الفرصة التي يمكن استثمارها، من خلال تحويل الأزمة وما تنطوي عليه من مخاطر إلى فرص لإعادة الظروف لوضعها الطبيعي، وإيجاد الحلول البناءة². والأزمة كذلك تعني السنة المجذبة ويقال نزلت بهم أزام وأزوم أي شدة، والمأزم: كل طريق ضيق بين جبلين كما تقدم³.

2-2- المفهوم الاصطلاحي

أما من الناحية الاصطلاحية فيقصد بالأزمة من الناحية الاجتماعية توقف الحوادث المنتظمة والمتوقعة واضطراب العادات والعرف، مما يستلزم التغيير السريع لإعادة التوازن ولتكوين عادات جديدة أكثر ملائمة، ومن قبيل ذلك الأزمات الاقتصادية والنفسية⁴، ويمكن أن نضيف إليها الأزمة الصحية وغيرها، وهو ما يفترض على ما نعتقد عنصر المفاجأة أو المباغتة،

كما عرفت بأنها حالة توتر ونقطة تحولٍ تتطلب قراراً ينتج عنه مواقف جديدة سلبية كانت أو ايجابية تؤثر على مختلف الكيانات ذات العلاقة⁵، وبذلك فهي حدثٌ مفاجئٌ ومتفاقمٌ، له إرهاباتٌ وأسبابٌ بما قد ينجر عنها من تهديد الأمن والاستقرار النفسي والاجتماعي، فالأزمة عبارة عن تحديٍ يستلزم اتخاذ تدابير عاجلة ومدرسة من أجل مواجهتها في حينها، وفي هذا السياق يتدخل علم إدارة الأزمات والكوارث، الذي تكون غايته مواجهة الآثار والتتائج، من أجل وضع حدٍ أي كبح مدّ وتصاعد المشكلة مثل التدابير الاحترازية التي اتخذت لمواجهة فيروس كورونا 19 مجسدة في التباعد الجسدي (المنزلي والذي يقيد confinement الذي لا يعني تنافر العلاقات، والحجر الصحي) الحريات الفردية ولكنه لا يعني تلاشي العلاقات الاجتماعية، وغسل اليدين وعمليات التعقيم، وهي تصرفاتٌ أو سلوكياتٌ من شأن الالتزام بها أن يحد من انتشار الفيروس وبالتالي تفاقم الأزمة، أو على الأقل تحقيق قدرٍ من الوقاية كما هو شأننا اليوم.

وفي السياق ذاته فإن مفتاح تسيير مثل هذه الجوائح يقوم على القدرة على اتباع بوتوكول وتهيئة فضاءاتٍ خاصة لمواجهة مثل هذه الأزمة الصحية، وهو السلوك الذي من شأنه أن يحد من مخاطر العدوى، ويفترض بدوره القيام بتحليل للمساحات المتوقفة مثل الملاعب والمستودعات الكبرى وأحياناً المدارس، وتمييز المساحات ذات الخطورة الكبرى لتشكل

² الأزمة، مفهوم، خصائص، مراحل، أسباب وفوائد، متاح على: <http://www.starshams.com/2021/06/the-crisis.html> أطلع عليه بتاريخ: 2021/11/25 على 22.00

³ ابن منظور، لسان العرب، (لبنان: دار إحياء التراث العربي، 2010)، ط 1، ص ص (109-110).

⁴ أحمد بدوي، معجم العلوم الاجتماعية، ص 91، متاح على: <https://www.noor-book.com/>

⁵ فهد أحمد الشعلان، إدارة الأزمات، الأسس، المراحل والآليات، (الرياض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1999)، ص 24.

بذلك مناطق ساخنة ينتشر فيها الوباء بشدة، عن تلك التي تظلّ في المنطقة صفر، وكذا تحديد ممّرات عبور الأشخاص والتجهيزات إلى كليهما وبينهما أيضاً.⁶
ضمن هذا المجال، فإنّ لجوءنا لمفهوم الأزمة متعدّدة الأوجه التي انجرت عن فيروس كوفيد-19 هو في واقع الأمر كما تقول جوديث بلتر - في حوارٍ أجري معها- أمرٌ لا مفرّ منه، لأنّ الوباء في حدّ ذاته أزمة أدت إلى تفاقم الأزمات السابقة وقادت إلى كشف الضعف الذي تعاني منه مجتمعاتنا، ضعف الإصابة وضعف الاستجابة وضعف الانتماء، نظراً لانعدام المساواة الاجتماعية، بسبب حرمان فئة الضعفاء من الرّعاية الصحيّة، ليصبحوا بذلك أكثر عرضة لخطر الموت⁷، هذا إلى جانب أنّ غايّتنا من استخدامها - الأزمة- هو التأكيد على دور هذا المصطلح من الناحية الإبيستيمولوجية في تقدّم العلوم عبر التّاريخ وفي جميع ميادين المعرفة الإنسانيّة، حيث لا ينكر أحدٌ شعور العجز الذي ولّدته الجائحة في نفوس العلماء من أطباء وبيولوجيين ورجال سياسة ومختصّون في علم الأوبئة، ممّا يسمح بالقول بأنّها تشكّل أزمة في تاريخ العلم المعاصر، وذلك برغم ما أحرزه العلم من تقدّم لا يستهان به خاصّة في مجال البيوتكنولوجيا، إلّا أنّه وإن بدت بهذه السّلبية فهي من زاوية أخرى لعبت دور الدافع والمثير والعائق الذي يدفع إلى ضرورة تجاوزه وتخطيه بفكرٍ خلاقٍ ومبدع، تكون غايّته باسّلال وتحليله عودة الاستقرار، ولعلّنا في هذا السياق نستحضر فيلسوف العلم غاستون لتاريخ العلوم لا محالة.

3.2- مفهوم الفيروس (الفيروس التاجي المستجد كوفيد-19):

ليست الفيروسات (virus) كائنات حيّة لأنّها لا تستطيع التكاثر بصفةٍ مستقلّةٍ لهذا يحلّو للبعض أن يعتبرها فلسفياً في منطقة وسطى ما بين الحياة والأحياء، وهي في حقيقتها جينوم أي قطعة من المادة الوراثية DNA أو RNA محاطة بطبقة من البروتين لا يمكنها العمل دون التفاعل مع الخلية الحيّة، لذا فهي خاملة غير قادرٍ على الحركة ولا يمكن رؤيتها بالعين المجرّدة، وطالما ظلّت خارج الجسم أمكن قتلها بسهولةٍ بغسل اليدين بالماء والصابون لمدة 30 ثانية، ولكن إذا أصابت الجسم يصبح الأمر أكثر صعوبةً وتعقيداً، وهو ما ينطبق على فيروس كورونا سريع الانتشار الذي أمكن التّعرف عليه أوّل مرة لدى عددٍ من المصابين بأعراض الالتهاب الرّئوي في مدينة ووهان Wuhan⁸ سابع أكبر مدن في الصين⁸.

يتكوّن التّركيب البنيوي لفيروس كورونا من غشاءٍ بروتيني يبلغ قطره 200 – 50 نانومتر، ويغلّف بداخلها لحمض النووي الخاص بالفيروس RNA، وكباقي الفيروسات التّاجية يتكوّن الفيروس من أربعة أنواعٍ من البروتينات تُسهم في تكوين هيكل جسم

⁶François Grunezald, Hugues Maury. *Épidémies, Pandémies et enjeux humanitaires : Leçons tirées de quelques crises sanitaires.*(Paris: Agence française de développement- Ministère des affaires étrangères, 2020),p 18

⁷ حوار مع الفيلسوفة الأمريكية جوديث بلتر، ترجمة: عدوية الهلالي، في: منارات، العدد 4887، السنة 18، 2021.
⁸ محمد فتحي عبد العال، كورونا جائحة العصر، ص 5، متاح على: <https://www.pdf-books.org/book>

الفيروس، منها البروتين (S-) الذي شكّلا لتتواءم الشوكية الموجودة على سطح الفيروس وتمنحها لشكل التاجي المميز.

وتشير الدراسات أنّ طفرات وراثية قد تكون طرأت على فيروس كورونا المستجد ونتج عنها تغيير الفيروس نتيجة تغيير بعض الأحماض الأمينية، جعلته يرتبط بالمستقبلات (ACE2) على خلايا الإنسان من خلال بروتينات S الشوكية على سطح الفيروس، ممّا أدى إلى زيادة ملامته لتلك المستقبلات وارتباطه بها، وقد تكون الطفرات ساهمت في تطوره بشكل يسمح له بالانتقال من الخفافيش إلى البشر⁹.

وتجدر الإشارة إلى أنه نتج عن وباء فيروس كوفيد-19 شلّ حوالي 177 دولة وولّد كارثة صحّية عالمية قائمة وكثيية تنذر بالخطر، حيث تم حجر أكثر من 4 مليار شخص أي ما يقارب نصف سكان العالم، وسجّل 5 ملايين مريض في نهاية شهر ماي 2020، وتسجيل ما يقرب من 350000 وفاة¹⁰.

ومنذ أشهر عديدة مرّت تسارعت جهود المختبرات العلميّة الدولية في أوروبا وأمريكا في إنتاج لقاحات ضد هذا الفيروس، فكانت محتشمة في البداية نظراً للجهل بطبيعة الفيروس شديدة التحوّر وبتركيبته الجينية، ولكن سرعان ما تسارعت وتيرة اكتشافها وإنتاجها إلى درجة بعثت على الشكّ والرّيبة في نفوس البشر على اختلاف انتماءاتهم وقناعاتهم ومستوياتهم، بخاصّة بعد العدد غير المتوقع للضحايا عبر العالم والذي يقدر بالملايين وجلهم من كبار السن ومن يُعانون من الأمراض المزمنة، وحصل ذلك خاصّة بعد إنتاج العديد من اللقاحات المتفاوتة في الفعالية، من جهة، وبسبب الأعراض الجانبية المحتملة من جهة ثانية، كما أنّ طبيعة الفيروس المتحوّلة ولّد تساؤلاً كبيراً حول مدى نجاعة اللقاحات أصلاً، وهذه النقطة بالذات شكّلت جوهر الأزمة التي خلقها هذا القاتل الصّامت وغير المعهود، بما أنّها برهنت عن عجز المختصّين في المجال.

واللقاحات هي مستحضراتٌ بيولوجيةٌ تصنع من الأشكال المضعفة أو المقتولة للفيروس أو أحد بروتيناتها لسطحية فتحفز الجهاز المناعي، وتمكّن دفاعات الجسم من المران على التعرف عليها باعتبارها أجساماً غريبة ومحاربتها، وبالتالي إذا تعرّض الجسم للفيروس في الواقع فإنّه يكون على دراية بكيفية التصدي للعدوى، وفي حالة كورونا من الناحية النظرية، فإنّ الشفرة الجينية لها أصبحت معروفة ويمكن استخدامها بصورٍ شتى لتحفيز الجهاز المناعي¹¹.

2-4. الفيروسات والحرب الصّامتة:

يمكن للبيوتكنولوجيا أن تعتبر مصدراً للحرب البيولوجية بسبب الاستخدام العدائي لتقنياتها، وحسب الدارسين تعد هذه الحرب - الحرب البيولوجية - حرباً قديمةً تمتد جذورها إلى

⁹جامعة الدول العربية، نشرية الألكسو العلمية المتخصصة- العدد 2-2022 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص 17.

¹⁰Edgar Morin. *Changeons de voie les leçons du coronavirus*. (Paris: Denoël, 2020), p14.

¹¹ محمد فتحي عبد العال، كورونا جانحة العصر، ص ص(10-11).

المرحلة اليونانية في عصر القائد سولون حوالي 600 ق. م حين استخدم جذور نبات ساج لتلويث مياه النهر الذي يشرب منه أعداؤه، كما استخدمها القائد العسكري هنبعل في 184 ق. م في أسلوب أكياس من الثعابين أطلقها على سفن أعدائه ليقع بهم الهزيمة¹²، وهي كما يبدو حرب صامتة وقاتلة لا محالة.

هذا، وقد شكّلت حصيلة الأمراض المعدية عبئاً ثقيلاً على الإنسانية منذ العصور القديمة، حيث اعتبر الجذام (La lèpre) المذكور في الإنجيل عقاباً إلهياً وليس مرضاً يجب علاجه واعتبر المجذوم كائناً نجساً في المجتمع ينبغي استبعاده ولهذا تمّ تجاهله على الإطلاق، وبالتالي رفض مواجهة المرض، هذا لتتلوه لاحقاً أوبئة أخرى مثل الطاعون (la peste) الذي ذكر في العهد القديم (l'Ancien Testament) والذي ألحق في سنوات تالية خراباً لدى الإغريق والرومان القديمة، ولعل الأوبئة الحديث التي تم توثيقها هي الكوليرا (le choléra) والإنفلونزا الإسبانية والإيدز (le Sida) أي داء المناعة الذاتية الذي ظهر في 1981 بسبب فيروس VIH والذي تسبّب في وفاة حوالي 32 مليون شخصاً أغلبهم من إفريقيا وآسيا، وجائحة الحمى الإسبانية التي انتشرت في أوروبا بين 1918 و1920 التي نتجت عن قطعة من فيروس H1 N1 العنيف، والتي خلّفت 40 مليون وفاة، والإيبولا - الذي انتشر في القارة الإفريقية - وأخيراً فيروس كورونا - الجديد، دون أن ننسى مرض السيفيليس (La syphilis) الذي ظهر في القرن 16، وهو ينتقل جنسياً، وتسبّب في مقتل العديد من الشخصيات المرموقة في القرن 19 أمثال Baudelaire (1867-1821) وMaupassant (1893-1850) وDaudet (1897-1840)، والذي تم القضاء عليه باكتشاف البنيسيلين عام 1943. وللإشارة فقد تبيّن أنّ العامل المسبّب للطاعون هو بكتيريا تم اكتشافها عام 1894 من طرف معهد باستور¹³.

ونضيف إلى ما تقدّم أنّ فيروس كورونا إنّما هو في حقيقة الأمر فيروسٌ بسيطٌ يقف وراء حالات الزكام ولكنّه في الجائحة تحوّل إلى وحشٍ ترك أثراً يشبه آثار حرب ميكروبيولوجية، وهو المسئول عن SRAS، هذا الأخير هو مرضٌ يرتبط بحالات صعوبة التنفس الذي ظهر في 2007 ليعاود ويظهر لاحقاً عام 2012 بالمملكة العربية السعودية عند الحجاج، ولينحصر عدد الإصابات هناك وبشكلٍ محدودٍ، ولأنّ الفيروس البسيط تحوّل إلى متحوّرٍ خطيرٍ فقد تعدّدت السيناريوهات التي حاولت تفسيره¹⁴.

في هذا السياق أشارت اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى أنّ البيوتكنولوجيا من شأنها أن تسهّل تطوير الأسلحة البيولوجية واستخدامها في المنازعات المسلّحة، وكوسيلة لنشر الرعب بين المدنيين، كما قد يصبح نشر المرض متعمّداً، وتحويل الميكروبات غير الضارة إلى ميكروباتٍ خطيرةٍ، حيث استهدفت أبحاثٌ أجريت في إفريقيا في ثمانينات القرن الماضي العثور على لقاحٍ يحوي عنصراً يُمْكِنه بصورةٍ خفيفةٍ أن يقلّل الخصوبة لدى السكّان

¹²محمد فتحي عبد العال، كورونا جائحة العصر، ص 15.

¹³Dolla Karam Sarkis. Les pandémies dans l'histoire ...au Coronavirus! in: <https://www.auf.org/uploads/2021/03>. Consulté le: 26-02-2022 à 21.22.

¹⁴Ibid.

المستهدفين، ومن حسن الحظّ أنّه لم يصل إلى مرحلة الإنتاج، هذا إلى جانب إمكانية التّوصّل إلى خلق فيروساتٍ اصطناعيّةٍ بالغة الخطورة، فيروساتٌ يتمّ خلقها من موادّ تركيبها - كما حصل في 2002 مع فيروس شلل الأطفال-¹⁵.

كما أضافت اللّجنة أنّه يمكن أن تكوّن هناك هجماتٌ غير قابلةٍ للكشف بعد أن يتمّ تغيير وظائف الجسم، وخصوصاً في مجال ما يُعرف بالمواد البيولوجيّة المنظّمة وهي موادّ كيميائيّة توجد بشكلٍ طبيعيّ في الجسم، عندما يتغيّر تركيزها حتى ولو بمقدار ضئيلٍ جداً يمكنها تغيير السلوك والوعي والخصوبة ودرجة حرارة الجسم¹⁶.

3- تجلّيات الأزمة في زمن كوفيد- 19 (التداعيات):

تداعياتٌ عميقةٌ وجذريّةٌ انجرت عن جائحة القرن كما يسمّيها الكثيرون انعكس أثرها على الحياة البشريّة عامّة وعلى مختلف المستويات، النفسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة وغيرها، وهو الوضع الذي استدعى إطلاق ناقوس الخطر بما أنّ الخطر أصبح عالمياً ولم يعد كما في الماضي يقتصر على بقعةٍ أو رقعةٍ جغرافيّةٍ محدودةٍ. هذه التجلّيات يمكن إجمالها في مل يلي:

3.1- التجلّيات الاقتصادية والجوسياسية:

مما لا شكّ فيه أنّ الجائحة أعادت نوعاً من النّقة في الدولة القوميّة أو الوطنيّة أي النّقة بين المواطنين والدولة، باعتبار أنّها الأقدر على التّعامل مع الوباء، وذلك في ظلّ غياب آليات التّعاون والتكامل الإقليمي والدولي¹⁷، هذا إلى جانب أنّه يبدو وكأنّ النّظام الدولي يشهد واقع توازناتٍ جديدةٍ حيث برزت الصّين على حساب الولايات المتّحدة الأمريكيّة في مجال التّجهيزات الصحيّة والأدوات الواقية، أضحت في منظور الرّأي العام العالميّ تبدو أنّها دولة حازمة قويّة وقادرة على تخطّي الأزمات، ممّا يعزّز موقعها على صعيد التنافسيّة الاقتصاديّة، إلى جانب تعزيز حضورها الدولي على حساب موقع الولايات المتّحدة الأمريكيّة¹⁸.

ولعلّ من أبرز الآثار السياسيّة المتوقّعة لجائحة كورونا أن يُعاد النّظر في بعض التكتّلات والمنظّمات الإقليميّة، ونعتقد أنّ الاتّحاد الأوروبي على رأسها، حيث كشفت الأزمة عن حالة التّصدع في بنيانه، خاصّةً مع ضبابية احتمالات خروج بعض الدول منه بخلاف بريطانيا مثل إسبانيا وإيطاليا والبرتغال، وذلك استناداً إلى تنامي موجات الغضب الشّعبيّ ضدّه داخل العديد من الدول الأوروبيّة، بسبب سوء تعاطيه مع الجائحة، إذ قابل الاتّحاد بالرّفص طلب دولٍ أوروبيّة منها إيطاليا - التي تركت تواجه مصيرها بمفردها وهو ما هزّ وبشدة فكرة التّعاون الدولي المفترض- بإصدار ما يسمّى بـ "سندات كورونا" للتّخفيف من الآثار

علي إبراهيم علي عبيدة، أحمد عبد الفتاح محمود، أساسيات التّقنية الحيويّة، ص ص (143-144)، متاح على: <https://books-library.net>

¹⁶ علي إبراهيم علي عبيدة، أساسيات التّقنية الحيويّة، ص 145.
¹⁷ مي مجيب، ارتداد العولمة.. عالم جديد تحكمه شراكة المعاناة، في: تداعيات الجائحة (مجموعة مؤلفين)، (الإسكندرية: مركز الدراسات الإستراتيجيّة، 2020)، ص 23.
¹⁸ مي مجيب، ارتداد العولمة.. عالم جديد تحكمه شراكة المعاناة، ص 24.

الاقتصادية للوباء، ومنه المطالبة بإعادة تقييم فكرة الاتحاد، وكذلك إعادة تعريف الوظيفة المؤسساتية لمثل هذه التكتلات في ظل تنامي مهددات الأمن غير التقليدية¹⁹. في السياق ذاته تنبغي الإشارة إلى مبادرة عقد لقاء قمة بين الصين والدول الإفريقية والذي عززت الصين بموجبه فكرة التعاون الدولي في مواجهة تفشي فيروس كورونا، لتثبت بأنها بمثابة الشريك الأمثل والرّشيد، الملتزم بمبادئ ومفاهيم الشراكة والتعاون والمساعدة في ظل ما تعانيه بعض الدول الإفريقية من ضعف في النظام الصحي وعدم الاستعداد لمواجهة الوضع، وذلك من خلال الخروج بجملة من التوصيات من قبيل دعم منظمة الصحة العالمية في تحقيق إسهامات أكبر في الاستجابة العالمية للمرض، وحث العالم على التخفيف من ديون الدول الإفريقية وتعليقها، إلى جانب التأكيد على أن هذه الدول ستكون لها الأولوية في الحصول على اللقاح من طرف الصين فور الانتهاء من تطويره، بالإضافة إلى تقديم مساعدة لهذه الدول في القطاع الصحي وتمويلها بالمستلزمات الطبية والوقائية وبناء المستشفيات²⁰، هذا إلى جانب حدوث تغيير في بنية النظام العالمي لينحسر دور القوة العسكرية والاقتصادية في الدولة لصالح قدرتها على إدارة الأزمات وقدرة اقتصادها على الصمود²¹. وإلى جانب ما تقدّم تنبغي الإشارة إلى تصاعد الأعباء الاقتصادية لمختلف الاقتصادات الوطنية، لتتصاعد بالتالي تهديدات الأمن الغذائي – ملف الجوع وسوء التغذية- حول العالم بأسره، أضف إلى ذلك ارتفاع معدلات الفقر نتيجة تعطل الكثير من العاملين وفقدانهم لوظائفهم، وعجز المؤسسات الصغيرة عن الصمود في وجه الشركات الكبرى²²، هذا إلى جانب ما لاحظناه من انعدام للتضامن الدولي خصوصاً في بداية الأزمة، حيث تبينت هشاشة الأنظمة الصحية العالمية والسياسية أيضاً مع فارق في الدرجة من بلد إلى آخر، ولعلّهُ الوضع الذي استدعى المناداة بضرورة تضافر الجهود على المستوى الدولي بتعبير الفيلسوف السلوفيني سلافويجيك والتفكير في مجتمع بديل يتجاوز حدود الدولة القومية²³.

2.3. التجليات النفسية:

فيروس كورونا حسب جوديتنر أوقعنا في مأزق وجودي لا يمكن نكرانه، حالة من عدم اليقين العميق، والخوف من ضياع الأمل، فعندما ينهار العالم كما نعرفه، ماذا بعد ذلك؟²⁴، وهو وضع يبنى بالشعور بالضعف والعجز والضآلة، ناهيك عن انعدام الأمان بسبب حالة الطوارئ المعلنة في العالم بأسره، ليتم فيه عولمة المعاناة وإفراز مشاعر جديدة لا عهد للإنسانية بها من قبل، من قبيل الوحدة والتباعد والعزلة الفردية والأنانية المفرطة، بل وانبعاث شك هستيري في كلّ شيء حتى أضحي الاعتقاد بأن العالم الافتراضي هو الأكثر

¹⁹مي مجيب، ارتداد العولمة.. عالم جديد تحكمه شراكة المعاناة (مرجع سابق)، ص 25.
²⁰ محمود عزت عبد الحافظ، تفشي فيروس كورونا بين المؤامرة والتعاون الدولي، في: تداعيات الجائحة (مجموعة مؤلفين)، ص ص(54-55).

²¹شيرين جابر، عالم ما بعد كورونا.. رؤية استشرافية، في: تداعيات الجائحة (مجموعة مؤلفين)، ص 115.

²²شيرين جابر، عالم ما بعد كورونا.. رؤية استشرافية، ص 117.

²³سلافويجيك، عالم أقل اغتراباً بعد كورونا، كتب كوة الرقمية، 2021، ص8، متاح على: www.couua.com

²⁴ حوار مع الفيلسوف الأمريكي جوديتنر، ترجمة: عدوية الهلالي، في: منارات، العدد 4887، السنة 18، 2021.

أماناً²⁵، ولينبعث بذلك معنى جديد لمفهوم العيش والتعايش والانتعاش، ولعلّ جميعنا قد لاحظ كيف لجأ مواطنو العالم بأسره إلى وسائل التواصل الاجتماعي التي وجدوا في استخدامها نوعاً من العزاء والراحة.

لقد أصبحنا نعيش في زمن عولمة العزلة والتباعد والاحتراز والأنانية الهوجاء بسبب فيروس شبح،
الذين أصبحنا عبيد

التصنيع المنفصل، والتسويق المجنون، والإعلام المسير والمنفعة الهوجاء، والتسلطية الجامحة²⁶، والعزلة التي فرضها الفيروس تسببت في تشنج العلاقات الاجتماعية وحالات الاكتئاب والوسواس والرهاب وتغير المزاج وشتى أنواع الاضطرابات النفسية الأخرى، بالإضافة إلى تقييد الحريات والتوتر والقلق والشعور بالتهديد المستمر والعجز والملل، خاصة عندما يصاحب ذلك فقدان الوظيفة وما ينجر عنها من صعوبات ومشاكل مادية بالغة الأثر على أفراد الأسرة بجميع شرائحهم.

هذا بالإضافة إلى التصادمات داخل العائلة خاصة بين الزوج وزوجته أو بين الآباء والأبناء، ومما قد يزيد الوضع صعوبة أن يتم استقاء الأخبار بشأن الجائحة من مصادر غير رسمية، وهو ما لمسناه في برامج بعض القنوات التلفزيونية وعبر وسائل التواصل الاجتماعي.

3-3- التجليات الصحية:

لقد أتاحت جائحة كوفيد- 19 والأزمة الصحية التي صاحبته اكتشاف هشاشة السياسات الصحية المحلية وثغرات في الأنظمة الصحية العالمية عامة، وكان لها تداعيات على المجتمع في عمومه، على العلاقات الإنسانية، وسير الاقتصاد، والأمن الغذائي، والحوكمة، والسياسة والعلاقات الدولية، وذلك من خلال ما شهدناه من صراع اقتصادي سرّي بين المخابر الصيدلانية الكبرى للحصول على براءات اختراع الاختبارات، ومنتجات العلاج واللقاحات، وقد تجلّى بعض من ذلك في الديبلوماسية الناعمة لبعض الدول التي راحت تثبت سخاءها ومساهمتها في الصحة العالمية تحت غطاء لعبة عالمية جديدة وكبيرة تدرج ضمن سياسة تسيير الأزمات الصحية²⁷ والتي تبرز انعدام التأهب لمواجهة مثل هذه الأوضاع. (التأهباً للقدرة التي تتمتع OMS) ومنظمة الصحة العالمية (ONU) وقد عرفنا الأمم المتحدة) بها الحكومات والمنظمات المهنية المسؤولة عن الاستجابة والمجتمعيات والأفراد،

²⁵ سلافويجيك، عالم أقل اغتراباً بعد كورونا، كتب كوة الرقمية، 2021، ص 37 (المرجع السابق).

²⁶ مشير باسيل علون، الوعي الكوروني الطارئ العقل الاقتصادي الانتفاعي مخاطره على الحياة الإنسانية، في: مجلة الاستغراب، (العراق: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، 2020)، عدد 20، ص 22.

²⁷ François Grünewald- Dr Hugues Maury. Epidémies, Pandémies et Enjeux Humanitaires : Leçons tirées de quelques crises sanitaires. (Paris: agence française de développement- ministère des affaires étrangères, 2020), p 9.

علما للتنبؤ بأثر الطوارئ الصحية أو الأخطار أو الأحداث والظروف، سواء كانت محتملة أو وشيكة أو حالية، والكشف عنها والاستجابة لها بفعالية والتعافيمه²⁸، وضمن هذا السياق لاحظ جميعنا تجاوزات السياسة العالمية التي عملت على تشويه الحقائق أو إخفائها وإنكار خطورة الفيروس والتلاعب بالمعلومات، والكذب بشأن الإجراءات التي تم أخذها أو سيتم الأخذ بها²⁹.

لقد فضح فيروس كورونا المنظومة الصحية العالمية حيث تبين عجز المرافق المتوفرة عن استيعاب الأزمة لتكون الطواقم الطبية أول متضرر من هذا الوضع، ولهذا يجب أن تصبح سلامة العاملين في مجال الرعاية الصحية، ونشر الوسائل التي يمكن أن تحميهم، وتسمح لهم بالتعافي جسدياً وعقلياً بعد المحن الصعبة في صميم استراتيجيات التدخل في مواجهة الأوبئة والأوبئة عالية الفتاكة، وهو ما يعني أن تصبح حمايتهم الأولوية الأولى³⁰.

هذا ناهيك عن السباق الذي شهدناه لإنتاج اللقاح بمجرد أن تم تشخيص الفيروس، حيث تم تطوير العديد منها في ظرف قياسي تراوح بين 12 و18 شهراً، وهو ما يحصل للمرة الأولى في تاريخ إنتاج اللقاحات، حيث أن أسرع فترة استغرقت لإنتاج لقاح قدرت بأربع سنوات وأقصاها 34 سنة. لقد تعلمت الإنسانية والعالم أجمع درساً في التواضع وهي التي كانت تعتقد أنها أمسكت بزمام العلم والتقنية، خاصة عندما تبين أن الخطابات على اختلافها حسب بتلر راحت تنزلق نحو داروينية اجتماعية لترتبط بما يسمى مناعة القطيع.

4.3- التجليات الاجتماعية:

لقد تسببت جائحة كورونا في انتشار نوع من الذعر الجماعي والهستيرى على مستوى العالم، لتبرز علاقات اجتماعية متشنجة صاحبها تزايد العنف الأسري، وتغير طبيعة العلاقة مع الأشخاص ومع الأشياء، بسبب هذا الفيروس الذي لم يميز بين غني وفقير، ليكون الجميع سواسية في فرص الإصابة والشفاء.

هذا بالإضافة إلى ما خلفته في النفوس من شعور بالضالة ونحن نحرم من وداع أقرباء دون مراسيم وداع، ناهيك عن مدى الصدمة أثناء فترة المرض، والتي يسببها وصول الفرق في ملابس العمل التي تتعدد ألوانها، والتي يتحدث أصحابها عبر الأقنعة، ويفحصون المريض باستخدام القفازات.

وفي هذا السياق يمكن أن نشير إلى ظاهرة الهجرة غير الشرعية أو غير النظامية من قبيل التسلل عبر الحدود التي استفحلت مع وباء كورونا، وكذلك طلبات اللجوء، بسبب ازدياد نسبة الفقر والبطالة خاصة على منطقة أوروبا، ولعل صور الملاجئ المكتظة بالمهاجرين غير الشرعيين أو غير النظاميين التي لا تتوفر على أدنى شروط العيش والتي نقلتها لنا القنوات

²⁸ جامعة الدول العربية، نشرية الألكسو العلمية المتخصصة- العدد 2-2022 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص 26.

²⁹ François Grunewald- Dr Hugues Maury. Epidémies, Pandémies et Enjeux Humanitaires :Leçons tirées de quelques crises sanitaires. (Paris: agence française de développement- ministère des affaires étrangères, 2020), p 17.

³⁰ Ibid.

التلفزيونية أبلغ من أيّ تعبير، وجئنا يتذكّر نبذة خطاب الكراهية ضد الأجنبي في قرارات الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب وتعدّيه على سلطة الكونغرس.
4. خاتمة:

على ضوء ما تقدّم فإن سبل مواجهة الجائحة هو الذي سيبيّن لنا شكل العالم الذي نتوقّعه لعالم ما بعد كورونا، ويتمثّل في نظرنا في تبني إستراتيجيات جديدة على جميع الأصعدة، نلخص أهم ملامحها في جملة من النتائج أو التوصيات نجملها في ما يلي:
أولاً- ضرورة السهر على خلق وصناعة وعي صحي عالمي جديد يأخذ في حسابه مصلحة البشر جميعهم من دون إقصاء بسبب الجنس أو اللون أو العرق أو الدين أو اللغة أو الأيديولوجيا، لننتقل بذلك من الحديث عن دولة كسموسياسية بالمفهوم الكانطي إلى مفهوم الانتماء إلى الإنسانية قاطبة، وليضحى خلاص البشرية من شبح أي تهديد هاجساً عاماً ومشتركاً تتضافر الجهود العلمية العالمية على التصدي له، وربما في وضع كهذا قد نحقق فعلاً وضع العيش معاً.

ثانياً- أفرزت جائحة كورونا- 19 وقبلها كوارث صحّية عديدة عرفتها الإنسانية هشاشة المنظومات الصحّية العالمية، وهو الوضع الذي يستدعي إعادة توزيع ميزانيات الدول على اختلافها ليكُون الاتجاه الجديد هو الاستثمار في الإنسان وفي شروط بقائه الحيوية بدلاً من الاستثمار في إنتاج أسلحة الدمار، الوضع الذي ما تؤكده الميزانيات الضخمة التي تخصصها الدول لهذا القطاع، ونشير في هذا السياق إلى ما لاحظناه أثناء الجائحة من أنّ النّظام الصحي اقتصر على محاولة تنظيم مشكلة ندرة بعض اللّوازم الصحّية مثل الأقنعة واختبارات PCR والمسحات (écouvillons) الخاصة بها والمفاعلات (réactifs) ليختصر الجهد في مجرد تسبير لوضع طارئ، كما أنّ الأزمة أبرزت مستوى تبعية أوروبا للصين والهند لغالبية المستلزمات الصحّية في حال الأوبئة³¹.

ثالثاً- بعث روح الشعور بالمسؤولية الوالدية (responsabilité parentale) على مستوى الدول والسّاسة وفقاً لمفهوم الفيلسوف الألماني المعاصر هانس يونس (1903-1992)، وبالتالي تسليط الضّوء على دور الحماية التي يجب أن توفرها الدولة لمواطنيها، ومنه إعادة بناء الثقة بين المواطن والحكومة من خلال تأكيد دور الدولة القوميّة، هذا ليصبح أمن المواطن وسلامته هو أولوية الأولويات بالنسبة للحكومات الوطنية، وفي هذا الإطار فقد رأينا المنحى الذي اتّخذته الدول في شكل تدابير مختلفة تأرجحت بين الصّرامة والهشاشة والجرأة في التّعامل مع الأزمات³².

رابعاً- مراجعة سير المنظومات الصحّية عبر العالم، والدور الذي ينبغي أن تلعبه المنظومة (، وإعادة الاعتبار لمهنة الطبيب الذي يقع على عاتقه عبء مجابهة OMS العالمية للصّحة)

³¹Jean-Paul Sardon. De la longue histoire des épidémies au Covid-19. In: Revue Les Analyses de Population et Avenir. 2020, p 28. www://population-et-avenir.com. consulté: 2/3/2022. 15.00h

³²شيرين جابر، عالم ما بعد كورونا.. رؤية استشرافية، في: تداعيات الجائحة (مجموعة مؤلفين)، ص

خطر استفحال الأوبئة والجوائح كما حصل مع كوفيد-19 عبر كل بقاع العالم، حيث تم فقدان الآلاف من الإطارات والكفاءات في هذا القطاع والتي من المتعذر تعويضها، وهنا لابد من تكييف مخرجات التعليم بما يتناسب ومتطلبات السوق.

خامساً- تغيير نظرة الإنسان إلى مفهوم المرض (La maladie) الذي قد يأتي في أي لحظة ودون سبب واضح ومعروف، وهو الأمر الذي يفترض أن يحافظ الإنسان على جسده ويحسن ثقافته الغذائية، ويتأهب للرحيل في أي لحظة، لأن التقدم العلمي أثبت محدوديته وقصوره، فتعلمنا أننا قد أصبحنا نحيا حياة أكثر هشاشة مع وجود تهديدات مستمرة ومتوارية، في الوقت عينه علينا أن نتقبل الواقع ونتصالح معه.

سادساً- إعادة ضبط العلاقة بين ثنائية (العلمي/الأخلاقي)، لأن العلم أساس بناء المجتمعات ونهوضها شريطة أن يقترن بقيم أخلاقية أو إيتيقا تلجم جموحه، حتى لا يتحول إلى إيديولوجيا في يد الأقوياء، ومصدراً لتهديد الوجود الإنساني على هذا الكوكب.

سابعاً- إلهام التفكير في طريقة جديدة للعيش معاً تأخذ الإنسان في أبعاده المتعددة، وهنا ينبغي إعادة الاعتبار للعلوم الاجتماعية والإنسانية، التي لا شك في ضرورتها إبان الأزمات والكوارث الكبرى، لأنها وحدها بمقدورها أن تفهم طبيعة الخوف الذي يعترى الأفراد والجماعات وهي تواجه الألم والموت.

هذا وفي خاتمة هذه الورقة، وبرغم ما تقدم، لا يمكن أن ننكر بعض الانعكاسات الإيجابية للجائحة، من قبيل تعزيز الاتجاه نحو الرقمنة، كما حصل في التعليم عن بعد، وتراجع الاستهلاك بسبب انخفاض الدخل وارتفاع تكلفة الإنتاج، ومنه الابتعاد عن الأغذية الجاهزة المعلبة والمصنعة، إلى جانب وقفات التضامن المحلي والإقليمي والدولي التي عكست شعور الانتماء إلى الإنسانية جمعاء، ومنه فإن جائحة كورونا تعتبر في نظرنا أهم وأكبر درس قدمته الطبيعة للإنسان المعاصر عساه يأخذ العبرة ويستقيم معها قبل فوات الأوان.

الإحالات والمراجع:

- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ص6، (مكتبة لبنان: صيغة pdf متاح على: <https://www.noor-book.com>)
- الأزمة، مفهوم، خصائص، مراحل، أسباب وفوائد، متاح على: <http://www.starshams.com/2021/06/the-crisis.html> - ابن منظور، لسان العرب، (لبنان: دار إحياء التراث العربي، 2010)، ط 1.
- أحمد بدوي، معجم العلوم الاجتماعية، متاح على: <https://www.noor-book.com/>
- فهد أحمد الشعلان، إدارة الأزمات، الأسس، المراحل والآليات، (الرياض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1999).
- حوار مع الفيلسوفة الأمريكية جوديث بتلر، ترجمة: عدوية الهلالي، في: منارات، العدد 4887، السنة 18، 2021.
-محمد فتحي عبد العال، كورونا جائحة العصر، متاح على: <https://www.pdf-books.org/book>

- علي إبراهيم علي عبيدة، أحمد عبد الفتاح محمود، أساسيات التقنية الحيوية، متاح على: <https://books-library.net>
- مي مجيب، ارتداد العولمة.. عالم جديد تحكمه شراكة المعاناة، في: تداعيات الجائحة (مجموعة مؤلفين)، (الإسكندرية: مركز الدراسات الإستراتيجية، 2020).
- محمود عزت عبد الحافظ، تفشي فيروس كورونا بين المؤامرة والتعاون الدولي، في: تداعيات الجائحة (مجموعة مؤلفين)، (الإسكندرية: مركز الدراسات الإستراتيجية، 2020).
- شيرين جابر، عالم ما بعد كورونا.. رؤية استشرافية، في: تداعيات الجائحة (مجموعة مؤلفين)، (الإسكندرية: مركز الدراسات الإستراتيجية، 2020).
- سلافويجيچيك، عالم أقل اغتراباً بعد كورونا، كتب كوة الرقمية، 2021، متاح على: www.couua.com
- جامعة الدول العربية، نشرية الألكسو العلمية المتخصصة- العدد2- 2022 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

-DollaKaramSarkis. Les Pandémies dans l’histoire ...au Coronavirus! in: <https://www.auf.org>
› uploads › 2021/03.

-Edgar Morin. Changeons de voie les leçons du coronavirus. (Paris: Denoël, 2020).

-François Grunzald, Hugues Maury. Épidémies, Pandémies et enjeux humanitaires : Leçons tirées de quelques crises sanitaires. (Paris: Agence française de développement-Ministère des affaires étrangères, 2020).

مجلة الأبحاث في الحماية الاجتماعية
ISSN2716-8182/EISSN :2772-3009
Vol 3-N°1/2022
